ابو الجراحة الحديثة

الاحتفال بذكرى اللورد لستر

باستور ولستر! من يستطيع ان يعدّد افضالهما او يزن ما نفعوا به الناس نفعاً يشترك فيه اهل المشارق والمغارب على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ، نفعاً قضى على آفات تشوه الاجساد وتخفف آلاماً تنتت الاكباد ومهّد السبيل الى ما نراهُ في هذا العصر من سيطرة الطب على معظم الامراض والعلل الاّ اقلها

كشف الاول سبب الاختمار فقادهُ الى كشف عالَم بأسره من الاحياء الدقيقة وابان ما لها من الاثر في الصناعة والزراعة والطب . وتناول لستر اكتشافهُ هذا بعد ما عالج الجراحة ورأى المستشفيات مراتع للبؤس والالم فوالى البحث والامتحان الى ان استنبط طريقة جديدة في الجراحة كانت فاتحة عهد جديد في تخفيف الآلام وشفاء العلل . وما زالت فنون الجراحة تتقدم منذ عهده الى الآن حتى صارت اخبار الجراحين كاخبار السحرة تكاد لا تصدّق لغرابتها

وُلد اللورد لستر في قرية يضواحي لندن في ٥ ابريل سنة ١٨٢٧ وابوهُ عالم محقق من اعضاء الجمعية العلمية الملكية اشتهر باصلاح المكرسكوب حتى لا يحلّ الالوان فرضع العلم مع اللبن . ودرس في مدرسة لندن الجامعة فاجيز لهُ سنة ١٨٤٧ وجعل يدرس الطب والف رسالة في انسجة الجلد العضلية قبل ان يتم دروسهُ . وعُيّن لتدريس علم الجراحة في مدرسة ادنبرج الجامعة مساعداً للجرّاح سيم وتزوج ابنتهُ فيما بعد وكتب في كثير من المباحث الطبية كتابة تدلُّ على علم راسخ وبحث دقيق فذاع اسمهُ وعرف فضلهُ فعيّن استاذاً للجراحة في مدرسة غلاسكو الجامعة ١٨٦٠ وانتبه حينئذٍ الى كثرة الوفيات من الذين تعمل فيهم العمليات الجراحية في المستشفيات فارشدتهُ الحقائق العلمية التي عرفها بالدرس والبحث الى معرفة سبب الفساد الذي يصيب الجروح والى السبيل الذي يتلافى به

***

كانت الجراحة كثيرة الخطر في تلك الايام وخصوصاً في العمليات الكبيرة . فلا تنقضي بضع ساعات على العملية احياناً حتى يدبّ الفساد في الجرح ويصاب المريض بالحمى ويضعف رويداً رويداً الى ان يلقى حتفهُ

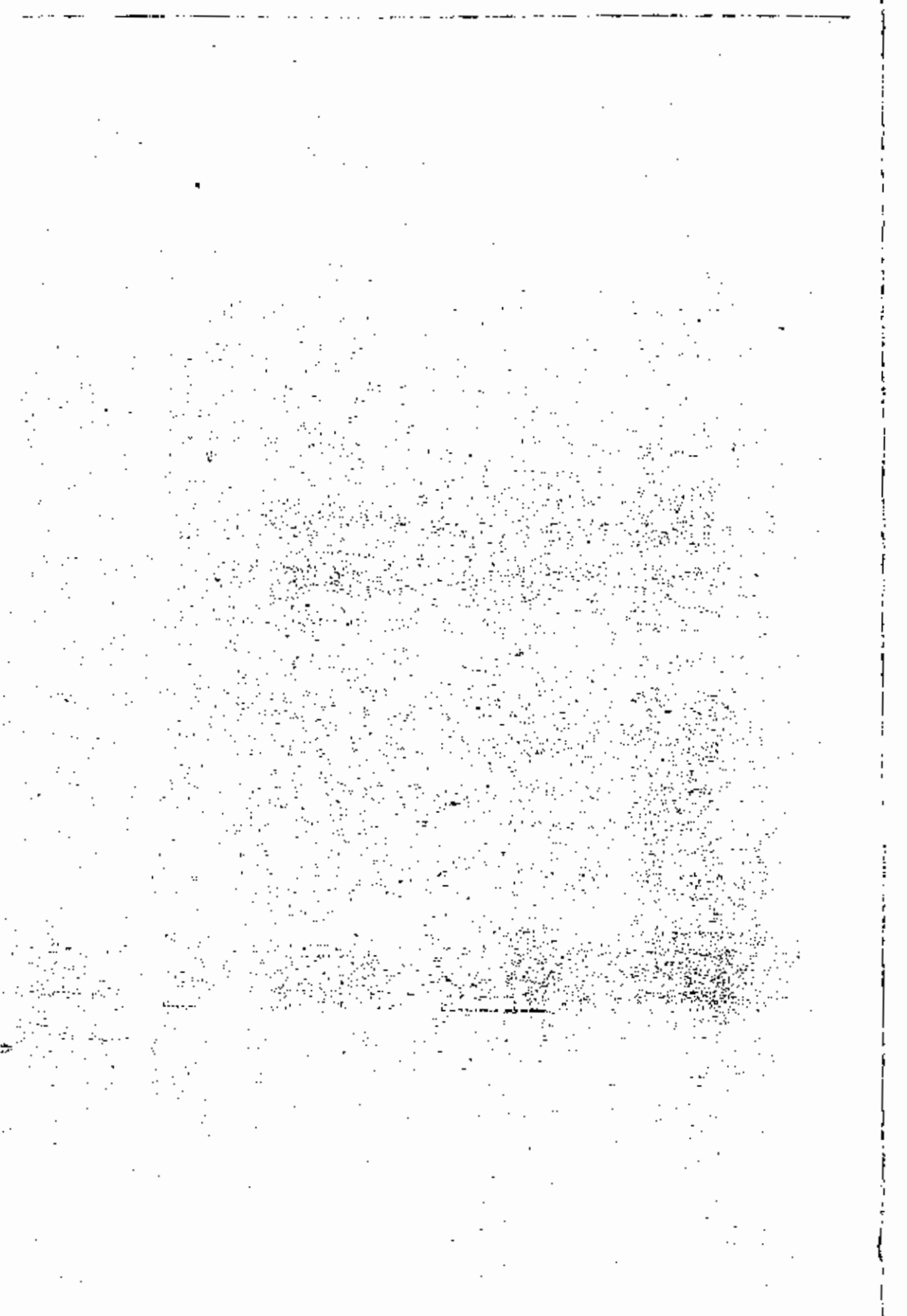

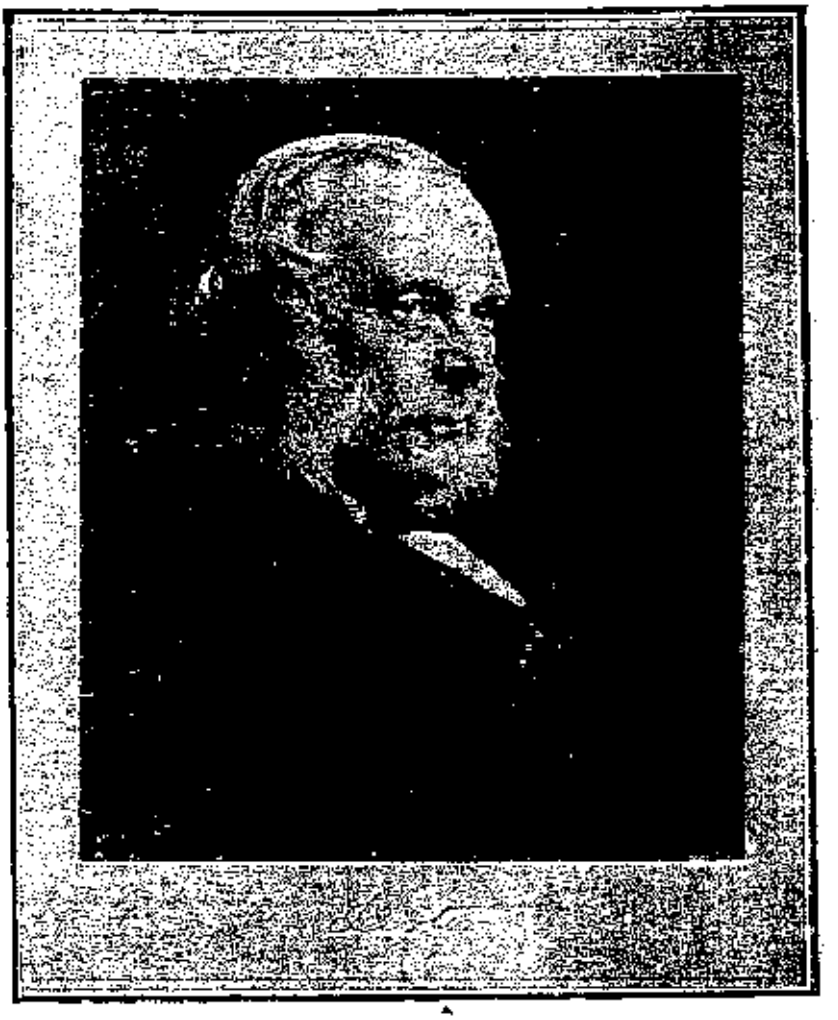

الورد سنر

مقتطف مايو ١٩٢٧

تمام الصفحة ٥٦٠

وكانت الجراحة حينئذٍ قد خطت خطوة كبيرة الى الامام باكتشاف المخدرات فصار في وسع الجراح ان يعمل العملية الجراحية في اناة ودقة لثقته بان عليله لا يتململ تحت المبضع . على ان هذا التقدم اشجى لستر لانهُ لم يرَ سبيلاً الى اجتناب الالتهاب الذي يعقب العملية ومنع الحمى الجراحية التي تصحبهُ بفعل يسائل نفسهُ — كيف تنشأ هذه الحمى وما هو سببها ؟ وكان بعض الباحثين قد اثبتوا ان هذه الحمى لا تصيب عليلاً ما غير مجروح فنتج عن ذلك القول بان مصدرها من الهواء وحاول بعضهم ان يمنع اتصال الهواء بالجروح حين العمليات فلم يجدهم عملهم نفعاً و بقيت الحمى الجراحية سرًّا مغلقاً

وفي احد الايام جاء استاذ الكيمياء في جامعة غلاسكو واعطى لستر بضع رسائل جاءتهُ من باريس كتبها كيماوي فرنسوي يدعى باستور تبحث في سرّ الاختمار والفساد فقرأ لستر هذه الرسائل التي وصف فيها باستور الاحياء المكرسكوبية واثرها في الفساد والاختمار والانحلال وكأن وحيًا نزل عليهِ حينئذٍ فناجى نفسهُ قائلاً — هل لهذه الاحياء علاقة بفساد الجروح ونتيجها ؟ واجاب نفسهُ بنفسهِ قائلاً لا سبيل الى معرفة ذلك سوى الامتحان

وانشأ منذ ذلك الحين يعمل العمليات على طريقة تمنع دخول هذه الاحياء الصغيرة الى الجروح باستعمال سائل او غسول ينتك بها قبل وصولها اليها فاختار الحامض الكربوليك اولاً فكان يغسل بهِ الجلد قبل بضعهِ والجرح في اثناء العملية . و بعد الانتهاء من العملية كان يغطي الجرح بقطعة من القطن المندوف النظيف لمنع المكروبات من التطرق اليهِ

فكانت نتائج هذا العمل على عدم اكتمالهِ اذا قيس بالوسائل الجراحية الحديثة باهرة جدًّا لان الجراح التي عولجت كذلك التأمت واخذت جوانبها تنمو نموًّا طبيعيًّا بدلاً من ان تصاب بالالتهاب والتقيح

وانصرف لستر حينئذٍ الى اتقان طريقتهِ وفي سنة ١٨٦٥ اعلن نتائج بحثهِ واتقانهِ فلم يرضَ عنهُ اطباء الاسلوب القديم ولكن ما حيلتهم ازاء الحقيقة الواقعة . فالاطباء الذين جروا على طريقتهِ في معالجة الجروح كانوا ينجحون في شفاء الذين يعالجونهم واما الاطباء الذين خالفوهُ وجروا على الطرق القديمة فكانوا لا يحصدون سوى الفشل فيصاب مرضاهم بالحمى الجراحية و يموتون . وأية حجة معها كانت بالغة تدحض الحقيقة الواقعة . لذلك كان فوز لستر مبيناً . ولكنهُ لم يقنع بفوزهِ هذا بل قضى وقتهُ في البحث عن مضادات للفساد تكون طبق المرام اي تنتك بالمكروبات ولا تفعل في انسجة الجسم فعلاً مهيجاً

وخلف عمهُ ابا زوجتهِ سنة ١٨٦١ فصار استاذاً للجراحة العملية في جامعة ادنبرج وهناك

المنصب من ارفع المقامات الطبية في انكلترا . على ان لستركان وديعاً متواضعاً فكتب الى باستور بعيد تسلمه مقاليد هذا المنصب يرفع اليه شكره الخالص على مباحثه البديعة في اسباب الاختمار والفساد التي مهدت له السبيل الى استعمال مضادات الفساد في الجراحة

ولم يكتفِ بعد فوز طريقته وانتشارها بقتل مكروبات الفساد بعد دخولها الى الجرح بل اخذ يفكر في منعها من دخول الجرح على الاطلاق . وكان قد عرف من بحثه الخاص ومن مباحث باستور ان في الجسم قوة تدفع عنه المكروبات التي تطرق اليه فجعل يقلب المسألة في عقله قائلاً اذا كانت آلات الجراح و يديه وارباطته معقمة اي خالية من المكروبات فالراجح ان المكروبات التي في الهواء لا تكفي لاحداث الفساد في الجرح . فكان هذا الفكر اساس الجراحة الحديثة Asepsis التي تعتمد على منع الفساد لا على مضادته Antisepsis واساسها النظافة التامة من المكروبات سواء في جلد المريض حيث تعمل العملية او في آلات الجراح او يديه او ارباطته وبهاتم للطبيب ما تم له قبلاً من منع الفساد وصار في وسعه اجتناب مضادات الفساد التي تهيج انسجة الجسم

ولم يكتفِ لستر بما تقدم بل ابدل الخيوط التي كانت تخاط بها الجراح باوتار تصنع من امعاء القطط حتى اذا التأمت الجراح لم يضطر الطبيب ان يسحب الخيوط لان الاوتار تتدثر من تلقاء نفسها

وعُرض عليه سنة ١٨٧٧ منصب استاذ الجراحة في كلية الملك بلندن فقبله وانصرف عن البحث العلمي الى تعليم المبادئ التي كشفها واثبتها . وفي سنة ١٨٩٣ انقطع عن التعليم بعدما تم اكبر عمل طبي في التاريخ وبث الحياة في علم البكتيريا وهو الآن من اكبر العلوم مقاماً في الطب وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٢

***

بدأ الاحتفال بذكراه في ٤ ابريل فاستقبل ملك الانكليز وفود الجامعات والجمعيات العلمية والطبية من انكلترا والولايات المستقلة وغيرها من البلدان . وتقدم السر ارنست رذرفرد رئيس الجمعية الملكية فالقى بين يدي الملك خطبة رد عليها الملك متمنياً ان يسفر هذا الاجتماع عن توثيق عرى الاتحاد والتعاون بين الجمعيات العلمية في مختلف البلدان لجمع الحقائق العلمية واستخدامها فيما يفيد الناس . وفي المساء اجتمعت الجمعية الملكية الطبية فخطب الخطباء معددين مناقب لستر . وفي ٥ ابريل استقبل رئيس الوزراء وفود الجامعات والجمعيات العلمية والطبية في دار الجمعية الملكية الطبية وفي اليوم التالي اقيمت حفلة تذكارية في دير وستمنستر